

# هل التوراة على حق؟

المؤرخ اللبناني كمال الصليبي يبدل اماكن المدن المقدسة

ترجمة : قاسم طوير  
المديرية العامة للآثار والمتاحف - دمشق

يؤكد استاذ الآثار الاسرائيلي في تل ابيب موشيه كوخاوي ، وهو واثق من نفسه ، بان « الوصف الجغرافي الوارد في التوراة لا ينطبق الا على فلسطين ، لذلك لا يمكن ان تكون ارض التوراة الا في فلسطين » .

غير أن وجهات النظر المخالفة للرأي السابق تعتبر جدية ايضا في اوساط العلماء ، فعالم الآثار التوراتية في جامعة ماينز بالمانية الغربية يقول « ان بعض البقاع في بلدان الشرقين الاوسط والادنى تشبه في مظهرها الجغرافي اجواء فلسطين بحيث لا يكون ضروريا ان نوجه انظارنا الى عسير دون غيرها » . نعم ليس من الضروري، بل لعل وعسى ، فلماذا لا نحاول توجيه الانظار الى عسير ، لا سيما وقد تعذر حتى الان ايجاد الدليل المادي في فلسطين على الاحداث التوراتية التي جرب من أيام ابراهيم حتى السبي البابلي ، في حين يعتقد المؤرخ اللبناني كمال الصليبي انه اكتشف وجود عدد كبير من المدن والبلدان والمواقع في عسير تتفق اسمائها مع الاسماء التوراتية . واذا نقلنا الشبكة البلدانية التوراتية من فلسطين الى عسير نجد ان التوافق لا يقتصر على اسماء البلدان والمواقع بل ويشمل الطبيعة وخصائص الارض والمعادن والمياه والنبات والحيوان كما ورد وصفها في التوراة .

تقع عسير في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية بين الطائف شمالا واليمن جنوبا ، وقد أصبحت الان البلد « الذي يسيل فيه اللبن والعسل » بدلا من فلسطين .

عن مجلة « دير شيفل » الالمانية ، ٤٠ ، ١٩٨٥/٩/٢٠ .

دراسات تاريخية ، ٢٧ و ٢٨ ، ايلول - كانون الاول ١٩٨٧ .

- ١٤٥ -

وقد وصف الجغرافي اليوناني سترابون الذي عاش بين ٦٣ ق.م و ٢٦ ميلادية ،بلاد عسير بان في داخلها يجري استخراج الحديد والرصاص والذهب .. والذهب موجود فيها على هيئة فلزات اصفرها بحجم الجوزة وليس على هيئة غبار .

يذكر سفر موسى ان الذهب يستخرج من مكان قريب من نهر بيسون تماما كما في منطقة وادي بيشا بعسير حيث يرى كمال صليبي تشابها بين كلمة بيسون التوراتية وكلمة بيشا في بلاد عسير .

ويذكر سفر موسى ايضا ان الله امطر النار والكبريت فوق مدينتي سودوم وعمورة لقاء خطاياهما .

وهذا يعني وجود براكين بالقرب منهما . وثمة اجماع بين العلماء ان المدينتين المذكورتين تقعان في مكان ما قرب البحر الميت، لكن الواقع هو انه لا وجود للبراكين في منطقة البحر الميت ، بل هي موجودة، حسب تحقيق كمال صليبي ، في وادي دمس بمنطقة جيزان .

تهطل الامطار في عسير اكثر من اي مكان اخر في شبه الجزيرة العربية ، ويتراوح معدلها بين ٣٠٠ و ٦٠٠ مم في العام، وهناك خصائص اخرى كثيرة تتفق مع طبيعة عسير ، فالثلوج الكثيرة التي تحدث عنها النبي اشعيا والنبي ارميا تهطل بغزارة في جبال السراة في بلاد عسير . وتنبت في هضاب عسير انواع الحبوب وتكثر اشجار الزمان والزيتون والتين واللوز والكرمة ، وفي السهول المحاذية لساحل البحر الاحمر يكثر العديد من انواع الخضار ، وقد وجد الجغرافي اليوناني سترابون ان عسل عسير من افضل الانواع ، وتنتشر حول المناطق المزروعة المراعي التي تربي عليها قطعان الغنم والماعز وتسرح فيها الحمير والدواب والجمال ..

ان الضب من الحيوانات التي حرمت التوراة اكلها ، ويعتقد كمال صليبي ان الكلمة المستخدمة في سفر موسى لهذا الحيوان المحرم اكله تنطبق على ضب الصحراء العربية ولا تنطبق على الضب الذي يعيش في جنوبي فلسطين .

يذكر الجغرافي اليوناني سترابون في سياق حديثه عن حملة القائد الروماني اتيوس جالوس الى جنوبي الجزيرة العربية ، ان الدجاج ليس معروفا لدى اهالي عسير . وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى ان قائمة الحيوانات التي يمكن او لا يجوز في تعاليم موسى تقديمها كضاح لا تتضمن الدجاج ، علما ان الدجاج معروف في فلسطين منذ اقدم العصور .

---

\* المقصود بـ « سفر موسى » الاسفار الخمسة الاولى من التوراة .

يعتقد كمال الصليبي انه اكتشف في القرآن الكريم ايضا وجود ادلة وقرائن على صحة نظريته بأن عسير وليس فلسطين البعيدة عنها قرابة الف كيلو متر الى الشمال هي ارض التوراة .

ان الرسول العربي محمد ( ﷺ ) الذي عاش بين ٥٧٠ - و ٦٣٢م اراد احياء دين ابراهيم الخليل . ولقد تعرف محمد ( ﷺ ) على الديانة اليهودية وفق المآثور لدى يهود الحجاز الذين كان لهم كنيس في مكة انذاك . ويتحدث القرآن الكريم عن يهود يثرب ( المدينة المنورة ) . ويعتقد كمال الصليبي ان محمدا ( ﷺ ) قد بنى بقايا المآثورات اليهودية الحجازية من يهود يثرب وغيرهم ، ويرى ان القرآن الكريم في سياق الحديث عن الاوائل والانبياء يسرد اسماء مواقع وبلدان حجازية في أشكال مثيرة للاهتمام : فاذا كانت التوراة تكتفي بذكر اسم جبل فان القرآن الكريم يذكر الجبل واسم الوادي التابع له او اسم المدينة او البلدة المجاورة له . فمثلا نادى الملاك علي موسى من بين الادغال في جبل حوريب . لكن حتى الان لم يستطع احد تحديد مكان هذا الجبل وجرت العادة على الظن بانه في مكان ما بجنوب سيناء .

اما القرآن الكريم ( السور ٢٠ و ١٢ و ٧٩ ) فيحدد المكان في وادي طوى المبارك، وطوى اليوم هو اسم احدى القرى في عسير .

يرى الصليبي ان جبل حوريب التوراتي موجود في جبل هادي الذي هو جزء من سلسلة جبلية ساحلية منعزلة في عسير . ففي وادي البقرة المحاذي لذلك الجبل بالذات يوجد اليوم موقع اسمه حريب . يضاف الى ذلك ان التوراة ( سفر موسى ) تتحدث عن اسماء سبعة مواقع تبعد مسيرة احد عشر يوما عن جبل حوريب وهي : عربية ، صوف ، فران ، طوفل ، حازروت ، ديساهب ، لابان . وقد حقق كمال الصليبي ان تلك المواقع تبعد ٢٥٠٠ / كم عن جبل هادي بعسير ، وبالفعل تحتاج تلك المسافة الى مسيرة احد عشر يوما .

استنادا الى السورة /٢٨/ والسورة /٢٤/ من القرآن الكريم توقف موسى بعد خروجه من مصر في موقع اسمه الظل وقد عثر كمال صليبي على هذا الموقع في منطقة المدينة المنورة بالقرب من ينبع النحك .

مهما كان شأن التفسير المطروح للمآثورات الاسلامية عن اليهود فان بعض التفاصيل في الحياة الاسلامية في الحجاز تبدو وكأنها تشير الى ماض يهودي فأهالي الحجاز اليوم ينتعون أهالي عسير بكلمة ( يهودنا ) . وثمة عدد من القبائل الحجازية غير اليهودية ما تزال تعتقد حتى الان ان اجدادهم في الازمنة البعيدة كانوا يهودا . كما انهم ما زالوا على قناعة تامة بان ارض الانبياء التوراتيين موجودة في الحجاز . وفي

الاحساء بالسعودية ما زال البدو هناك يزورون كهوفا ومفارات معينة على اساس انها منازل ابراهيم الخليل . كذلك تقول احدى المآثورات القبلية في غربي الجزيرة العربية ان اليهود كانوا يقطنون الجبال في الوقت الذي كان فيه العرب ينزلون في الصحراء ، وان اليهود هم أول من أهل الجمل ، وما زال اهالي ابها وخميس مشيط في جبال عسير يعتقدون حتى اليوم ان ابراهيم الخليل وموسى عليه السلام من مواليد عسير وانهم ( أي اهالي ابها وخميس مشيط ) كانوا بالاصل يهودا .

سبق للمستعرب والمؤرخ الهولندي راينهاردت دوزي ان جمع ادلة كثيرة على الماضي اليهودي للحجاز وعسير في كتابه الذي صدر قبل ١٢٠ عاما بعنوان «الاسرائيليون في مكة من ايام داود حتى القرن الخامس بعد الميلاد» . ونستخلص من كتابه هذا ان اليهود سكنوا الحجاز وعسير على الاقل منذ ايام داود . كما عثر على معلومات مفادها ان دولة عربية قامت بين مكة واليمن بين ١١٥ ق.م والقرن السادس الميلادي، وكانت تدين باليهودية ، وهي دولة حمير التي مقرها اليمن . والمعروف ان اخر ملكين من ملوك حمير كانا يدينان باليهودية .

وخلافا لرأي كمال الصليبي يعتقد المؤرخ الهولندي دوزي ان الوجود اليهودي القديم في غربي الجزيرة العربية جاء نتيجة لهجرة يهودية الى الحجاز وعسير .

ثمة ادلة مادية على انه لا يوجد اجماع لدى اليهود بان فلسطين هي الوطن الاول لليهود . فالتصوص المكتشفة في جزيرة الفيلة في نهر النيل بمصر العليا تدل بان يهود مصر العليا لم يسمعوا قط بمعبد سليمان العظيم كما انهم عبدوا آلهة اخرى الى جانب يهوا .

ان الفلاشة الذين هاجروا من جنوبي الجزيرة الى الحبشة في الالف الاول قبل الميلاد على ما يظهر ، ويعتبرون انفسهم يهودا لم يعترف الحاخام الاكبر في القدس بيهوديتهم الا مؤخرا وذلك عندما هربوا من مجاعة افريقيا الى دولة اسرائيل .

وحتى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان يعيش في اليمن قرابة ٦٠ الف يهودي ، وهؤلاء لم ينسوا دينهم لكنهم نسوا تاريخ نشوئهم مثلما نسوا اللغة العبرية . وحتى الحاق عسير بالملكة العربية السعودية في الثلاثينات من هذا القرن كان الاف من اليهود يعيشون في عسير . وعلى الرغم من ان السعوديين قد اجبروهم على اعتناق الاسلام الا ان هؤلاء احتفظوا بعدد من عاداتهم وتقاليدهم ، وبخاصة في اللباس والطعام والسلوك ، فهم ، خلافا للمسلمين ، يسمحون لبناتهم بركوب الخيل . ولقد اثار « الطابع غير العربي بتاتا » في سلوك اهل عسير اهتمام الرحالة البريطاني وهابي الاثار السير هاري سان جون فيلبي الذي جاب في جميع ارجاء الجزيرة العربية خلال

الثلاثينات ، ففي احدى مذكراته يتحدث عن نسوة بلا حجاب ، وعن راع يتنغم بموسيقى جبلية مطربة . يضاف الى ذلك ان الغرباء في عسير اليوم يستغربون وجود اسماء يهودية دارجة بين اهالي عسير مثل مناحيم وحقوق ، وبعضهم لا يدرك انه يحمل اسما يهوديا . من الممكن ان تكون الظواهر اللغوية الغريبة وغيرها مجرد مصادفة ، ولكنها قد تكون قرائن تدعم نظرية كمال الصليبي ، فمثلا توجد في جنوب الجزيرة العربية لهجات تحتوي على مفردات متصلة اتصالا وثيقا باللغة العبرية وهذا الامر يشير الى وجود عبري سابق في المناطق التي تسود فيها تلك اللهجات ..

جمع عالم اللسانيات الانكليزي ف.ل . بيستون ، من النصف الغربي من الجزيرة العربية من شمالها الى جنوبها ، اعدادا هائلة ومشتتة من النقوش الكتابية التي تتوزع في مجموعتين رئيسيتين ، الاولى تستخدم ( ال ) التعريف العربية والثانية تستخدم ( ها ) التعريف العبرية ، واستنتج بتحفظ وحذر « ان هذه الظاهرة تكفي للاعتقاد بوجود مجتمعين لغويين كانا متصلين بعضهما مع بعض جغرافيا ثم تمازجا . وفي كل الاحوال لابد ان نوعا من الفسفساء اللغوية ساد جنوبي الجزيرة العربية . وقد لاحظ العلماء منذ عشرات السنين وجود كمية من المفردات العبرية في جميع اللغات الحبشية .. ترى هل مصدر تلك المفردات هو فلسطين التي تبعد عن الحبشة قرابة ألفي كيلو متر او بالاحرى جنوب غربي الجزيرة العربية المجاورة للحبشة .

ومن الاثار اليهودية الاخرى في الحبشة التي تقع عسير قبالتها ، نرى نجاشي الحبشة وقياصرتها حتى هيلاسيلاسي ينعتون انفسهم بلقب « أسد يهوذا » وينسبون انفسهم الى سليمان ، وان شعار الخطوط الجوية الاثيوبية اليوم هو الاسد التوراتي . وقد فسر عالم الساميات الالماني **فولف ليسلاو** هذه الظاهرة في بحث نشره عام ١٩٦٢ في مجلة الاستشراق الالمانية ، فبين ان جماعات من سكان جنوب غربي الجزيرة العربية هاجروا الى الحبشة في الالف الاول قبل الميلاد ، وهذه هي الفترة التي تقوم عليها نظرية كمال الصليبي .

يفسر كمال الصليبي غياب الماضي التوراتي غيابا كاملا من ذاكرة يهود ما بعد السبي واهل عسير باسباب لغوية ، ففي نحو ٥٠٠ ق.م كانت العبرية لغة شبه ميتة اذ حلت مكانها الارامية حتى مطلع الميلاد ، ثم جاءت العربية لتسود كليا . وعندما توقفت العبرية عن ان تكون لغة حية واجه اليهود مشكلة في قراءة النص التوراتي، ويتصور كمال الصليبي الامر كالتالي : كانت نصوص التوراة المتوارثة مليئة باسماء مواقع وبلدان لم تكن مألوفة لدى يهود اسرائيل لان تلك الاسماء كانت تخص مواقع وبلدان في غربي الجزيرة العربية ، وبعد ٥٠٠ ق.م تقلص عدد اليهود في غربي الجزيرة العربية تقلصا شديدا بحيث لم يبق منهم الا اقلية ضئيلة ، ويبدو انه لم يعد بين

صفوف هؤلاء علماء يتمكنون من مساعدة اخوانهم في الدين في فلسطين وبابل في فك  
طلاسم المواقع والبلدان وتصحيح لفظها لهم . يعتقد كمال الصليبي ان عوامل سياسية  
اذا فعلت فعلها في محو ذكريات اليهود بعسير ، ففي جنوب غربي الجزيرة العربية  
صعدت جماعات جديدة مثل المعينيين ، وفي ظل هؤلاء فقد اليهود تماسكهم وقد يمكن  
ان يكون وصولهم الى البلد الجديد فلسطين ومن ثم صعودهم فيما بعد قد محاذ ذكرياتهم  
القديمة عن بعسير .

تحقق لاسرة الاشمونيين في القرن الثاني قبل الميلاد ، بعد ثورة ناجحة على الحكم  
السلوقي ، الوصول الى فلسطين ، حتى الجزء الجنوبي من الجليل وفي هضاب شرقي  
الأردن . وفي ضوء هذه المكاسب التي دفع اليهود ثمنها غاليا لها قد يبدو ان التفكير  
بعسير صار مزعجا لهم ، فالارض الجديدة يجب ان تحل مكان القديمة وكل تشكيك في  
ملكية الوطن الجديد لم يعد مرغوبا فيه .

اذا اراد الصليبي ان تتعزز اسس نظريته فلا بد لعلماء التوراة ان يستعدوا  
للاجابة على سلسلة من الاسئلة . وعلى الرغم من ان المسائل الدينية في التوراة لن  
تتبدل لان المؤمن الديني سيان لديه اذا كانت الوصايا العشر قد نزلت على موسى في  
هذا المكان او ذاك ، ففي نهاية المطاف ستبقى التوراة توراة وسيان مكان نزولها ، هكذا  
يقول كمال الصليبي . غير انه من المؤكد ايضا ان هناك الكثير من الناس ممن يرون في  
نظريته عدوانا على هويتهم الدينية والاجتماعية او السياسية .

فاليهود شعب عربي . . ! رئيس وزراء اسرائيل وملك المملكة العربية السعودية  
اخوة ، ارض الميعاد ليست فلسطين بل جزء من المملكة العربية السعودية ، تاريخ  
اسرائيل في فلسطين يتقلص حوالي الف عام ، كل هذه الامور لو صحت ستكون  
كأبوسا على الاقل على اصحاب الخط المتصلب الذين لا يكتفون بتبرير جود الدولة  
الاسرائيلية بل والاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة والضفة الغربية بالاستناد الى  
التوراة . فاليهود المتعصبون لا يرون ان الله عقد حلفا مع شعب اسرائيل وحسب  
بل ومع ارض اسرائيل ( اسرائيل الكبرى ) . يضاف الى ذلك ان الليبراليين من  
الاسرائيليين شعروا بالارتباك نتيجة لنظرية كمال الصليبي فهم كانوا يبحثون في الخفاء  
عن تأكيد تاريخي قديم بقدر الامكان على استمرارية تاريخ بني اسرائيل ، فاذا استطاع  
علماء الآثار ان يعثروا على دليل اثري يؤكد وجود اسرائيل في فلسطين منذ ايام يشوع  
فان اسرائيل اليوم ستعتبره دليلا اضافيا على شرعية وجودها .

لكن حتى العرب المتصلبين قد يجدون في نظرية كمال الصليبي نوعا من الاساءة  
اليهم ، فالسورة (٢١) والسورة (٧١) في القرآن الكريم تعتبر ان فلسطين الارض التي  
جعلناها مباركة للناس اجمعين . ومنذ فتح المسلمين لفلسطين في القرن السابع الميلادي

صاروا يطالبون بفلسطين الجغرافية ، وصارت القدس ثالث الحرمين بين مكة والمدينة وذلك بسبب احداثها التوراتية بالذات ، والتي جاء كمال الصليبي الان لينقل مسرحها من القدس الى العربية السعودية .

غير ان المسيحيين هم اقل الاطراف انزعاجا من نظرية كمال الصليبي . فالنظرية لا تمس المسيح والعهد الجديد ، لاسيما وان المفسرين في السنوات الخمسين الاخيرة قد اشبعوهما دراسة . أما التوراة ككتاب فقد عززت مكانته نظرية كمال صليبي ولا بد ان العديد من اسماء المواقع والبلدان التي كانت مسرحا للاحداث التوراتية والتي لم يتمكن العلم من تحديد مكانها الجغرافي حتى الان ، اصبحت اماكنها معروفة بدقة اكثر بفضل هذه النظرية .

لكن ماذا في نظرية الصليبي من خروج عن المألوف ، هل الاكتشافات اللغوية ( اسماء البلدان والمواقع التوراتية في خارطة عسير ) واستنتاجات المراقب الحيادي مجرد مصادفات ولعب بالكلمات وخاطر جريئة . ان مثل هذه الامور لا تتبدى الا بعد المناقشة الجدية للنظرية . وحتى اذا تبين بان نظرية الصليبي لا تستند الى اسس صحيحة كليا او جزئيا ، فانه سيبقى له الفضل في وضع اشارة استفهام جديدة امام عدد من التفسيرات الدراجة للاحداث التوراتية .

كان حكم علماء الانار التوراتية ممن قرأ الكتاب رافضا للنظرية ، وذلك مثل البروفيسور اوسفالد لوريتس الاستاذ في العهد القديم والعلوم الاوغاريتية في قسم اللاهوت الكاثوليكي بجامعة مونستر بالمانيا الاتحادية منذ ١٩٦٧ . فهو من المختصين في الدراسات الاوغاريتية ، واوغاريت موقع اثري في شمالي سورية وقد تم العثور فيه منذ ١٩٢٩ على نصوص مسمارية سومرية واكادية وحورية واوغاريتية . وحكم البروفيسور لوريتس على نظرية الصليبي هو التالي :

ان عملية نقل احداث التوراة الى مسرح عسير تهمل الادلة غير التوراتية التي يؤكد جزء منها على ان فلسطين الحالية هي نفسها فلسطين يشوع وسليمان ، وبالتالي لابد ان تكون ارض كنعان في منطقة فلسطين الحالية وذلك وفقا للوثائق الاوغاريتية والفنيقية والاشورية والبابلية والمصرية ، والا لن يكون لتلك الوثائق أي مغزى . كما ان منهج كمال صليبي في البحث عن الاسم البلداني العربي المناسب للاسم البلداني التوراتي يستند كليا الى لعب قسري بالفتن العربية والعبرية ، ولا يظهر الا عملية لعب بالكلمات . وعلى اساس مثل هذا المنهج يمكن لاي انسان ان يبرهن على وجود فلسطين في أي بقعة يختارها من بقاع العالم العربي ، كذلك يكرر الصليبي على الطريقة العربية الفرضية القديمة المتعلقة بهجرة اسرائيل الى كنعان ، فهو ينقل الهجرة الى الجزيرة العربية ويفعل ذلك وفق الطريقة المتميزة في التفكير العربي ، اذا يهمل نتائج

التحريات العلمية الحديثة اهمالا تاما . تلك التحريات التي اقرت بنشوء اسرائيل في ارض كنعان .

وممن يقفون موقف الرفض من نظرية صليبي في الجانب البروتستانتى نذكر البروفيسور فولكمار فريتس ، استاذ العهد القديم والآثار التوراتية والمنقب في عدد من التنقيبات الاثرية في اسرائيل ، وهو يقوم منذ ١٩٨٢ بالتنقيب الاثري في تل العريمية ( كينيريت التوراتية ) قرب بحيرة طبرية . وعلى الرغم من ان البروفيسور فريتس يعترف بان نتائج التحريات الاثرية في فلسطين ضحلة فيما يتصل بالفترة الواقعة بين ١٥٠٠ - ٥٠٠ ق.م ، لكن اذا جمعنا المآثورات والوثائق غير التوراتية مع ما تم اكتشافه حتى الان نجد ان الحصلة تؤيد فلسطين اكثر مما تؤيد لعبة الصليبي بالالفاظ بالقياس الى عسير . فقد تحتق مثلا وجود قرابة ثلث الاسماء البلدانية الوارد ذكرها ، وسدس اخر نجد الدليل على صحة موقعه في فلسطين في مصادر غير توراتية ، مثل النصوص المصرية من الالف الثاني قبل الميلاد . ويخلص البروفيسور فريتس الى النتيجة التالية :

اذا اراد اي زميل لنا ان يتصدى للتاريخ باجمعه وان يقلب الاراء المتعارف عليها رأسا على عقب فلا بد له ان يتقدم بحجج ممتازة ، وعليه ان يبرهن بانه على حق . وما من شك ان المادة التي يطرحها الصليبي طريفة للغاية الا انها لا تحمل النظرية التي تقوم عليها . فهو يهمل الادلة التاريخية والجغرافية والاثرية .

لذلك لا غرابة اذا كان الاختصاصيون الاسرائيليون قد نظروا الى نظرية الصليبي نظرة شك منذ البداية وقبل ان يقرأوا كتابه . فالبروفيسور **ابراهيم مالمات** ، استاذ التاريخ التوراتي في الجامعة العبرية بالقدس يعتبرها « فكرة متمادية » وخرقاء . اما **موشيه كوحاوي ودافيد اوسيشكين** ، وهما عالما اثار مرموقان في جامعة تل ابيب ، فيعتبرانها « طائشة » و « مضحكة » و « سياسية الغرض من الفها الى يائها » .

يقوم كوحاوي بالتنقيب الاثري في موقع آفق / انتياتريس منذ ١٩٧٢ ، واوسيشكين في موقع لاخيش منذ ١٩٧٣ . وهما لا يعترضان على احتمال الوجود اليهودي في عسير قديما لكن ذلك الوجود ، براهما ، جاء نتيجة لهجرة يهودية من فلسطين الى هناك ، وذلك في اعقاب الفتح الاشوري والبابلي لفلسطين بين القرن التاسع والقرن السادس قبل الميلاد .

ان الوحيد الذي ابدى موقفا ايجابيا من نظرية الصليبي عندما سئل ، هو عالم الآثار التوراتية البريطاني جون جيبسون ، فهو يعترف بان اجزاء من كتاب صليبي فد « سلبت الباب » . غير ان علماء اللسانيات تناولوا النظرية بالنقد ايضا



فالبروفيسور **فيرنر ديم** ، استاذ فقه اللغة العربية في جامعة كولونيا بالمانيا الاتحادية يرى بان صليبي يفتقر كليا الى المنهجية في معالجته للامور ، وطريقته في التوفيق اللفظي بين الاسماء العربية والاسماء العبرية ضرب من ضروب الهوى والغي ، كما ان الريبة تكتنف كل حلقة في سلسلة البراهين التي يسوقها .

اما البروفيسور **يوشع بلاو** ، استاذ الساميات في الجامعة العبرية بالقدس ، ومن المع الاختصاصيين في هذا المجال ، فانه لا يريد ان يدلي بحكمه على النظرية الا بعد ان تكون الاسماء قد صنفت تصنيفا دقيقا وفق توافق مقارناتها وتم تقييمها تقييما احصائيا ، عندئذ سنرى ما اذا كانت ستصمد من الناحية اللسانية .

غير ان استاذ الفقه العربي والتاريخ الاسلامي في جامعة هامبورغ البروفيسور **البريشت نوت** يقف موقفا اقل تحفظا من غيره من نظرية الصليبي ، اذ يقول : فعلا ثمة أسماء بلدانية كثيرة العدد في عسير تكشف عن وجود قرابة ظاهرة مع اسماء بلدانية في اماكن مختلفة من صفحات العهد القديم ، كما ان عملية الصليبي المعقدة للتوفيق بين المجموعتين العسيرية والتوراتية مقبول عادة من الناحية اللسانية ومن ناحية تاريخ اللغات ، لاسيما وانه قد تبين عدم صحة الحجة المضادة بانه من الممكن اكتشاف تشابه بين الاسماء البلدانية التوراتية من جهة وبين اسماء بلدانية في أي بلد عربي من جهة ثانية . لذلك فانه من المحتمل جدا الافتراض بوجود علاقة ( مهما كان نوعها ) بين الاسماء البلدانية التوراتية والعسيرية . وسيكون من واجب الباحثين في المستقبل تفسير اسباب ذلك التشابه في الاسماء . ويرشدنا البروفيسور نوت الى الطريقة التالية : من الممكن التفكير مثلا بوجود بقايا صور عسيرية تسلمت الى التراث التوراتي عن طريق فئة او طبقة معينة من الاسرائيليين المتأخرين الذين كانوا يشكلون خليطا غير متجانس ، ومع هذا قد تظهر معادلات تاويلية اخرى لا تخطر على بال او على خاطر .

أكد البروفيسور **أوتو ياسترو** ، استاذ الساميات وفقه اللغة العربية في جامعة ارلانغن بالمانيا الاتحادية على ان اكتشافات الصليبي للاسماء البلدانية تستحق الدراسة والبحث ، فهو أيضا يرى ان التشابه اللفظي الموجود بين الاسماء البلدانية العسيرية والتوراتية العبرية واضح بشكل كاف ومنتظم بحيث يبدو التوافق بينهما محتملا جدا .

غير ان الاسماء البلدانية العسيرية ليست عبرية بل تحتفظ ، مع تعديل طفيف ، بشكل لفظي سامي اقدم عهدا من العبرية ، وهي من الناحية اللغوية اقدم عهدا من الاسماء التوراتية ، لذلك فانه يجوز لنا الاعتقاد بان العبرانيين قد جلبوا تلك الاسماء البلدانية كجزء من تراثهم اللغوي من عسير الى فلسطين ، ثم شهدت تلك الاسماء التطور الذي شهدته العبرية .

غير ان المستبعد في الامر ان تكون الاسماء البلدانية الحالية في عسير لفظا عربيا للاسماء التوراتية ، أي ان تكون تلك الاسماء قد وصلت الى عسير من فلسطين ، لان

الصيغة اللغوية الاحداث عهدا لا يمكن ان تتحول الى صيغة اقدم عهدا . واذا قيض لاسماء بلدانية النبات في غير مكانها الاصلي فانه لا يمكن ان يحدث ذلك الابانتقالها من عسير الى فلسطين ولعل ذلك تم بوساطة يهود عسير الذين اسسوا مواطن لهم في فلسطين واطلقوا اسماء مواطنهم السابقة على مواطنهم الجديدة من باب الاحتفاظ بذكرى الوطن الاصلي . وان مثل هذا الافتراض يتفق مع نظرية الصليبي والقائلة بان يهودا من عسير هاجروا في حوالي /١٠٠٠/ ق.م باتجاه الشمال واستقروا في فلسطين .

وثمة مشكلة لغوية اخرى في نظرية الصليبي لم تجد لها حلا حتى الان . فاذا كانت الاحداث التوراتية بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠ ق.م قد جرت في عسير السعودية فلابد ان تكون اللغة العبرية دارجة هناك ، الى جانب ما يسمى باللفات الحجازية . وفي حين يعتقد الصليبي بذلك نجد البروفيسور ياسترو يفترض بان الاشكال البدائية للعبرية التوراتية كانت دارجة في عسير في كل الاحوال ، وبعد ذلك بعدة قرون جرى تدوين الاحداث التوراتية باللغة العبرية التوراتية المتأخرة ، غير ان ما يبدو اكيدا في تحليل البروفيسور ياسترو ان الصورة العلمية اللغوية لذلك الزمان وان كانت معالم حدودها غير واضحة جدا ، لا تتعارض مع نظرية الصليبي .

لعل علماء اللغات من اشد الذين يشقون الطريق لنظرية الصليبي فهم ، خلافا لعلماء اللاهوت ، يتحررون في غالبيتهم من مشاق الثقل على الاحكام المسبقة من الناحيتين الدينية والقومية .

وثمة عقبة اخرى تعترض طريق الاكثية من علماء التوراة وهي عدم درايتهم دراية كافية باللغات القديمة فالغالبية منهم تعرف اللغة العبرية ويدعون انهم متمكنون منها ، كما يقول الاستاذ لوريتس .

يتوقع كمال صليبي بان يعاني زملاؤه من حدود امكاناتهم مثلما يعاني من حدود امكاناته ، ففي البدء سيحاول هؤلاء ، والكلام للصليبي ، تجاهل نظريتي بكل بساطة ، واذا لم يتحقق لهم ذلك فسيحاولون السخرية منها ، واذا لم يتحقق لهم ذلك ايضا فانهم سيناقشوها ، وهذا ما ارمي اليه .

لا نعرف بعد نتائج مثل تلك المناقشة طالما ان علماء اللغات وعلماء الآثار لم يقوموا بتحريات واسعة في عسير . وحتى عالم الآثار التوراتي فريتس الذي يتخذ موقف المتشكك من النظرية ، يعترف بانه قد يوجد في عسير آثار لم تكتشف حتى الان والتي قد تكون ذات دلالة للتاريخ التوراتي . وقد نسخر الان من نظرية الصليبي ولكن قد نضطر جميعا الى الحجج الى عسير بعد عشرين سنة ..